الصراع الفرنسي الروسي في إفريقيا وأثره في الأمن الإقليمي

اللواء. د. أمين إسماعيل مجذوب عبد الرحيم ـ الخرطوم*

مقدمة

من دون إفريقيا لن يكون لفرنسا تاريخ في القرن الحادي والعشرين، وتعود جذور العلاقة الوثيقة التي تقيمها فرنسا مع مستعمراتها السابقة في غرب إفريقيا إلى مفاوضات إنهاء الاستعمار التي جرت في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي. اختارت هذه المستعمرات، تحقيق استقلالها الوطني مع الحفاظ على علاقات وثيقة مع فرنسا، على أمل تجنب الصراع والاستفادة بانتقال أكثر سلاسة إلى الاستقلال السياسي والاقتصادي.

التدافع الذي تشهده القارة الأفريقية مؤخرا هو أحد تجليات الصراع الدولي في حقبة ما بعد العولمة أو ما بعد هيمنة القطب الواحد، فضلا عن أنه أحد تداعيات الحرب الدائرة بين روسيا وأوكرانيا مؤخراً، يُنظر لهذه التأثيرات من قبل الخبراء؛ لكونها نهاية مرحلة تاريخية وبداية أخرى في تشكّل العلاقات والمصالح الدولية، وخاصة في ضوء الصراع الفرنسي الروسي على النفوذ في هذه القارة.

الوجود العسكري الفرنسي الذي يتمثل في أربع قواعد في السنغال وساحل العاج والغابون وجيبوتي، بالإضافة إلى عملية (سرفال) يبغضه السكان، إذ لا تزال فرنسا قوة استعمارية سابقة، وجنودها غير مرحب بهم هناك بشكل أساسي. ورغم النجاح مرحليا في عملية (سرفال) التي تحوّلت إلى (برخان) لم يحدث ما كان متوقّعًا من الحكومات المحلية الإفريقية، ولكن فرنسا حافظت على دعمها للقادة المرفوضين، وفضلت منذ فترة طويلة إستراتيجية تتمحور حول الجيش، وعدّتْ الساحل منطقة عرض، وساحة تدريب، لرجالها ومعداتها، لتجد حصة في سوق السلاح.

الهدف من الورقة

دراسة الصراع الفرنسي الروسي وتفهمه وأثره في الأمن الإقليمي الإفريقي.

* اللواء. د. أمين إسماعيل مجذوب عبد الرحيم مركز البحوث الإستراتيجية، الخرطوم– السودان.

فترة النفوذ الفرنسي

بدأ الاهتمام الفرنسي بإفريقيا في عهد الرئيس الفرنسي شارل ديغول، إذ تم عقد اتفاقيات هيمنت بها فرنسا على مستعمراتها السابقة، وضمنت لها استغلال الموارد الإستراتيجية لتلك الدول، كالماس، واليورانيوم، والغاز، والنفط، وملايين الدولارات، من خلال المشاريع التي منحتها الدول الإفريقية لنحو 1100 شركة فرنسية كبرى، و2100 شركة صغرى، وباتت ثالث أكبر محفظة استثمارية على مستوى العالم، بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا.

في يناير 2013 بدأ الجيش الفرنسي سيطرته عبر عملية (سرفال) على بلدات شمال مالي التي كان يسيطر عليها الجهاديون، في سرعة وجرأة تميز بها الجيش الفرنسي، لكن توالت المتغيرات، إذ غادر آخر الجنود الفرنسيين مالي من دون ضجة كبيرة، بعد أقل من 10 سنوات، حين طردهم المجلس العسكري الذي تولّى السلطة في باماكو، ليتضاءل النفوذ الفرنسي في كل مكان من إفريقيا، مفسحًا المجال لنفوذ موسكو وبكين.

فقدت الشركات الفرنسية نصف حصتها في السوق الإفريقية خلال 20 عامًا لصالح الصين، أو ألمانيا، أو الهند، وروسيا بالطبع، بعد أن تزايدت المظاهرات ضدها من دكار إلى نيامي مرورا بنجامينا، حيث خرج المئات يصرخون (ارحلي يا فرنسا)، ويرجع النفور الإفريقي من فرنسا إلى سياسات قصيرة النظر تضر بشكل دائم بفرنسا، من بينها رفع الرسوم الدراسية على غير الأوروبيين، واقتصرت الفرانكفونية على قول باريس للأفارقة تحّدثوا الفرنسية، لكن ابقوا في المنازل.

ظلّت فرنسا تستغل المقدرات الإفريقية من دون مقابل لشعوبها، وبلا حوافز للاقتصاديات التي تهيمن عليها، فضلًا عن عدم مواكبتها للتطورات على الساحة الإفريقية، وتضاؤل الثقة فيها، وفي سياساتها، التي اتصفت بالآتي[1]:

1. تراجع صورة فرنسا لدى الأفارقة، التي ارتبطت بالاستعمار الاستيطاني، وروح التفوق الحضاري، إذ ما تزال ترفض الاعتراف بجرائمها بحق الشعوب الإفريقية إلا نادرا.

(1)- صلاح محمد سليم، الصراع الفرنسي الروسي في دول الساحل، مؤتمر أمن دول الجوار الأفريقي للسودان، 2019م، ص52.

2. ظهور جيل إفريقي جديد لا صلة له بالاستعمار، ولا ممارساته السابقة، شديد التحرر والوعي بالتاريخ الفرنسي في إفريقيا، وضجر الشعوب الإفريقية من ازدواجية المعايير التي تستخدمها فرنسا، عندما يتعلق الأمر بمصالحها.
3. ظهور منافسين أقوياء، كالصين، وروسيا، والبرازيل، وهي دول ليس لها تاريخ استعماري في إفريقيا، إضافة إلى استعدادها لتقديم ما لم تقدّمه فرنسا للأفارقة.
4. تغيّر ميزان القوى بسبب التنافس الدولي على إفريقيا، وذلك يوفر شركاء جددًا قادرين على الوفاء باحتياجاتها، من دون اشتراطات.
5. أزمة الثقة العميقة بسبب تراكم الاستغلال الفرنسي للدول الإفريقية، وتطاول الأمد عليها.
6. ترى العديد من الدول الإفريقية أنّ الشأن الليبي كان إحدى خطايا ساركوزي التي لم ينتهِ تأثيرها بعد[1].

التواجد الروسي في إفريقيا

حُذِّرَ مبكراً من مخاطر الجمود والممارسات المشبوهة لبعض حلفاء فرنسا، خاصة في باماكو، إذ كانت الشواهد ظهور الخطب المؤيدة لروسيا في باماكو، لتتوالى بعد ذلك الأخبار عن توقيع موسكو 30 اتفاقية للتعاون الأمني مع إفريقيا.

أصبحت روسيا والصين تسيطران على الدول الإفريقية في جنوب الصحراء، لكونهما المورد الأول للبضائع في حوالي 30 دولة، ولديهما عقود تشمل المسرحَ الوطني الكبير في دكار، وميناءَ كريبي ذا المياه العميقة بالكاميرون، والطريق السريع إلى مطار نيروبي في كينيا، والبرج الأيقوني الأطول في إفريقيا تحت الإنشاء قرب القاهرة، وعلى مدى 10 سنوات انخفض الاستثمار الفرنسي المباشر بنسبة 18% في الوقت الذي تدهورت فيه صورة باريس في نظر قادة إفريقيا؛ لتحل في المرتبة التاسعة بين الشركاء الذين يُعدُّون (الأكثر فائدة) للقارة الإفريقية[2].

-(1) د. أسامة ريحان، التنافس الدولي في أفريقيا، المركز العربي للدراسات الإستراتجية، 2021م، ص18-19.

-(2) د. أمين إسماعيل مجذوب، الأكاديمية العليا للدراسات الاستراتيجية والأمنية، أسباب عدم الاستقرار في أفريقيا، دراسة جماعية، 2019م، ص87.

مجالات التنافس الروسي الفرنسي في إفريقيا

رغم إلمام فرنسا بدول القارة أكثر من روسيا؛ فإن الأخيرة في عودتها الجديدة إلى هذه المنطقة – يبدو أنها– حرصت على النفاذ إلى متطلبات النجاح مباشرة، وأبرز مجالات التنافس بين القوتين، تتمثّل فيما يلي:

1. الثروات الطبيعية الإفريقية التي وجدت الشركات الروسية مجالًا للتعاقد عليها، على حساب الحلفاء التقليديين، وعبر الشركات التي يملكها مقرّبون من بوتين، وتنشط في عدد كبير من الدول الإفريقية (السودان، ليبيا، إفريقيا الوسطى، مالي، الكونغو الديمقراطية).
2. في مجال الطاقة وقعت شركة (روساتوم) للطاقة اتفاقات مع 14 دولة إفريقية للتعاون في المجال النووي، الذي يمتد إلى قطاعات الطب والزراعة، ومنها صفقة بـ76 مليار دولار مع دولة جنوب إفريقيا وحدها.
3. في قطاع التسليح والأمن، وهو المدخل الروسي الرئيس لإفريقيا، بسبب الحاجة الملحة إليه في ظل تصاعد التهديدات الأمنية، ومخاطر الجماعات المسلحة التي تتكاثر يومًا إثر آخر، وحقّقت روسيا فيه نجاحًا كبيرًا.
4. في مجال التدريب، والخبراء العسكريين، عمدت روسيا إلى العمل من خلال (شركة فاغنر) التي تتبرأ منها عند الضرورة، ولكنها في الوقت ذاته تنفذ إستراتيجية محكمة من دون أن تتحمّل الحكومة الروسية مسؤولية ما ترتكبه من تجاوزات[1].

أسباب القبول الروسي في إفريقيا

تعيش إفريقيا فترة تحوّلات كبيرة تقتضي من دولها البحث عما يثبّت سلطتها، وتجد روسيا أقرب ما تكون في استجابتها لذلك، وفي أقل من عشر سنوات تحقق لها الكثير، وترجع أسباب القبول الروسي للآتي:

1. عدم وجود تاريخ استعماري لروسيا في إفريقيا – فضلًا عن التاريخ الروسي الداعم لثورات التحرر الإفريقية في منتصف القرن العشرين– وفّر لها ميزة تنافسية كبيرة لتوظيف تلك العلاقات.

-(1) جان فينس، استخدام الاستخبارات العسكرية الفرنسية في قمع المقاومة الأفريقية، دار الراشدين للنشر، بغداد، 2014م، ص205.

2. عدم تدخل روسيا في الشأن الداخلي الإفريقي، كما تفعل الدول الغربية.
3. اعتماد روسيا على التعاون، بدلًا من المساعدات الغربية المشروطة؛ فتظهر بصورة القوة التي تخدم الدول الإفريقية.
4. إلغاء روسيا 20 مليار من الديون المستحقة على الدول الإفريقية، وهو ما لا تتجاسر على فعله الدول الغربية، إلا تحت اشتراطات محددة وقاسية.
5. الاستجابة الروسية السريعة للحاجات الإفريقية الملحّة من دون تعقيد، وبالذات في مجالات التسليح، والتدريب، والاستشارات العسكرية، ومن دون تدقيق في موضوع الشفافية.

وجدت موسكو فرصة ذهبية لها لانتزاع حصة مِن النفوذ في منطقة شمال غربي إفريقيا، في بلد مثل مالي، كان يدور في فلك الاتحاد السوفييتي، بعد استقلاله عن فرنسا، فمالي بلد كبير وتبلغ مساحته 1.2 مليون كيلومتر مربع، وهو يتوسط عدداً كبيراً من بلدان غربي إفريقيا ما يجعله قاعدة انطلاق نحو المنطقة كلها.

فقدت موسكو في عام 2011م حليفاً كبيرًا لها؛ لذلك تحاول استعادة نفوذها في شمالي إفريقيا عبر دعم عدد من القوى التي تضرّرت بفعل التدخل الغربي الأطلسي في المنطقة، لذلك، نجدها تدعم قوى ليبية، على رأسها الجنرال الليبي خليفة حفتر، في مواجهة الثوار الذين يسيطرون على مقاليد الأمور في العاصمة الليبية طرابلس.

يأتي هذا التدخل الروسي في الوقت الذي تحاول فيه روسيا الرد على توسّع الناتو في شرقي أوروبا بما يهدّد أمنها، ما تسبب باندلاع الأزمة الأوكرانية ودفع روسيا إلى إطلاق عملية عسكرية في هذا البلد في فبراير الماضي، وهي العملية المستمرة حتى الآن.

ترى موسكو في مدّ نفوذها، في مناطق كان الغرب يراها حكراً على نفوذه في العقود الثلاثة الماضية، تعزيزاً لنفوذها في مواجهة النفوذ الغربي، خصوصاً في وقت تبدو القارة الإفريقية فيه مرشّحة لأنْ تصبح ساحة المواجهة الرئيسة بين الكتلة الأطلسية المتمثّلة في حلف الناتو، بقيادة الولايات المتحدة من جهة، وكتلة الدول الأوراسية التي تقودها الصين وروسيا من جهة أخرى. وفي هذا الإطار، يمكننا أن نفهم جولة وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، في شهر أغسطس الماضي، في عدد من الدول

الأفريقية، في غربي القارة السمراء، ومن هنا يمكننا أن نفهم الاهتمام الروسي بالتدخل في مالي، لمصلحة الحكومة الحالية في مواجهة فرنسا وحلفائها[1].

مجالات التنافس بين فرنسا وروسيا

وجدتْ عودة روسيا إلى إفريقيا ترحيبًا؛ لتحتل موقعًا متقدّمًا في التحالف مع الدول الإفريقية، ويعززها الرغبة الإفريقية في التسليح، والميل للتحالف مع دولة كبرى تنافس الغرب، وملأت روسيا الفراغ في مناطق عديدة، منها:

1. منطقة الساحل الإفريقي ذات النفوذ التاريخي لفرنسا، التي تعد الميدان الأكثر سخونة في القارة الآن، فروسيا أخرجت فرنسا من إفريقيا الوسطى منذ عام 2017م، ومن مالي عام 2021م، وربما قريبًا تخرج من بوركينا فاسو، التي تم الاعتداء على السفارة الفرنسية فيها والإطاحة بالعقيد سانداوغو، المتهم بالولاء لفرنسا، وكذلك في النيجر وتشاد التي شهدت تظاهرات تطالب بخروج فرنسا.
2. خسرت فرنسا رواندا، والغابون، منذ أن تركت الدولتان المجموعة الفرانكفونية، وانضمتا إلى الكومنولث، وتحللتا من الهيمنة الفرنسية.
3. موزمبيق التي توجد على أرضها مجموعات فاغنر منذ وقت مبكر، وبالرغم من الاستجابة للضغوط الأميركية، فإن الخبراء يعتقدون أنّ عناصر هذه المجموعات ما زالت هناك[2].

مآلات الصراع الروسي الغربي في إفريقيا

وفقًا للشواهد على الأرض، والتحليلات، فإن العالم يتجه نحو حرب باردة أخرى، وربما هذه المرة بأقطاب متعددة:

1. السيطرة الروسية على شبه جزيرة القرم فاتحة التوجه الروسي إلى إفريقيا، لتقود صراعها مع أوروبا، من أجل تخفيف الضغط على قواتها في أوكرانيا، وتحويل انتباه الأوروبيين إلى الجنوب.
2. تتحدّى روسيا السياسة الغربية في إفريقيا، وتتعامل مع الدول الأقل استقرارًا، التي عادة ما يسيطر عليها قادة استبداديون، ويجدون فيها سوقًا مفتوحة.

---

(1)- د. أسامة ريحان، التنافس الدولي في أفريقيا، المركز العربي للدراسات الإستراتجية، 2021م، ص44.

(2)- د. أمين إسماعيل مجذوب، الأدوار الفرنسية التاريخية في أفريقيا، ورقة مقدمة في اكاديمية نميري العسكرية العليا، 2018م، ص34.

3. تصدير مزيد من الأسلحة، وهو ما تتردد الدول الغربية في توفيره، إلا عبر قائمة طويلة من الاشتراطات، لا تتوافر لدى غالبية الدول الإفريقية.
4. استغلال روسيا تراجع الثقة في الإصلاحات الديمقراطية بإفريقيا، وتشجيع حكم الجيوش والمؤسسات الأمنية القابضة[1].

تحليل

على الرغم من تعثر روسيا على الجبهة الأوكرانية، بسبب الحشد الغربي ضدها؛ فإنها تُحرز تقدّمًا على جبهة أخرى، من خلال هجومها الناعم على إفريقيا الفرنكوفونية، وقد أظهر انقلاب النقيب إبراهيم تراوري في بوركينا فاسو، الذي أطاح بحكومة بول هنري داميبا العسكرية في 30 سبتمبر 2022م، مدى توسّع النفوذ الروسي في إفريقيا الفرنسية.

وكما حدث في بوركينا فاسو، تعرّضت مالي من قبلُ لانقلابين (2022و 2021م) قام بهما ضباطٌ معادون لفرنسا؛ وذلك دفع إيمانويل ماكرون إلى إنهاء الانتشار العسكري الفرنسي الذي يحارب الجماعات المسلحة العنيفة منذ تسع سنوات في البلاد، قام مرتزقة فاغنر الروس بالانتشار في المعسكرات التي هجرتها القوات الفرنسية.

يفسّر التقدّم السريع للنفوذ الروسي في إفريقيا جزئيًا، خطاب ماكرون البليغ والغاضب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر 2022م، الذي اتهم فيه (ضمنيًا) الدول الإفريقية بخيانة مصالحها طويلة الأجل، من خلال رفض إدانة (الاستعمار الجديد) الذي يقوم به فلاديمير بوتن من خلال غزو أوكرانيا.

إنّ الشعور المناهض للفرنسيين في إفريقيا ليس اختراعًا روسيًا بالكامل، حاول الرؤساء المتعاقبون منذ جاك شيراك تفكيك العلاقة غير الصحية والفاسدة التي كانت قائمة حتى التسعينيات بين باريس والنخب السياسة الإفريقية، وأصبحت فرنسا تدفع ثمن خطاياها الماضية بدلاً من الاستفادة بجهودها الحالية، لمحاربة الجماعات الإرهابية، والحد من الفساد وتعزيز الديمقراطية.

(1)- د. أمين إسماعيل مجذوب، الأكاديمية العليا للدراسات الاستراتيجية والأمنية، أسباب عدم الاستقرار في أفريقيا، دراسة جماعية، 2019م، ص96.

انتشرت القوة الروسية جزئيًا؛ لأنّ فرنسا لم تعد قادرة على التخلّص من صورتها الاستعمارية، لقد ذهب إيمانويل ماكرون إلى أبعد من أسلافه في محاولة إنشاء علاقة جديدة في إطار (الفرانس أفريك) قام بدعوة الطلاب والفنانين ورجال الأعمال الناجحين، وكذلك السياسيين، إلى القمة الفرنسية الإفريقية السنوية في مونبلييه، قال ماكرون: إنّ الأمر متروك للدول الإفريقية فيما إذا كانت تريد الاستمرار في استخدام ما يسمّى بـ (الفرنك الإفريقي)، وهي عملة مشتركة مرتبطة باليورو وتضمنها باريس.

تمتلك فرنسا الآن أقل من 5٪ من حصة السوق في العديد من البلدان، وتواجه منافسة من جميع أنحاء العالم، روسيا والصين وتركيا على سبيل المثال، لقد فشلت في التكيّف مع عولمة إفريقيا التي لديها اليوم عديدٌ من الشركاء للقيام بأعمال تجارية وتحقيق التنمية، لم تستطع فرنسا، في هذه المنافسة المعولمة، فهم تطور إفريقيا، ولاسيما الوصول إلى الشباب الإفريقي الذي يطالب بحقه في الانعتاق والتحرّر من القوة الاستعمارية السابقة[1].

أسباب التراجع الفرنسي في إفريقيا الفرنكفونية

يمكن الحديث عن ثلاثة عوامل رئيسة:

1. عسكرة الوجود الفرنسي في إفريقيا، حيث أضفت سياسة الوجود الفرنسي طابعًا عسكريًّا (سياسة العصا الغليظة)، هناك أكثر من 70 عملية خارجية فرنسية في إفريقيا، ويوجد اليوم شعور متزايد بين الشباب الإفريقي بأنّ هذا الوجود العسكري لم يعد ضروريًا، وبأنه عفا عليه الزمن، ولا يتوافق مع سياق الواقع المتغير.
2. الصور الذهنية وغطرسة فرنسا وتعالي نخبها، من الواضح أنّ هذا الانفصام في الدور الفرنسي، هو ما أفسد صورة فرنسا في إفريقيا.
3. قد يكون لدى فرنسا نوايا حسنة عندما تدافع عن سيادة القانون والديمقراطية، ولكن في المقابل، عندما تدافع من الناحية الواقعية عن أنظمة تسلطية، لا تحترم أبسط قواعد حقوق الإنسان، فإنّ ذلك يعني عدم احترام إرادة الشعوب الإفريقية، إنّ التعاون القائم مع دول معينة، خاصة فيما يتعلّق بالتعاون الدفاعي

-(1) صلاح محمد سليم، الصراع الفرنسي الروسي في دول الساحل، مؤتمر أمن دول الجوار الأفريقي للسودان، 2019م، ص5.

والأمني، يُظهر للأفارقة الذين يتظاهرون للمطالبة بمزيد من الحريّات، أنّ يد فرنسا وقبضتها العسكرية تحول بينهم وبين ما يطمحون.

إن حرب النفوذ على إفريقيا ما زالت مستمرة بين الدول الكبرى التي لها مصالح مختلفة في القارة، واتخذت أشكالًا متعدّدة، استجابة لمعطيات كل عصر ومرحلة، بَدْأً من حرب المعلومات، ونشر الإشاعات، وحرب الوكالات، وانتهاءً بالتدخل العسكري تحت مبرّرات مختلفة. فرنسا لكونها مستعمِرًا تاريخيًّا لكثير من الدول الإفريقية، لا تَدَّخِرُ وُسْعا لفرْض سيطرتها على مستعمراتها القديمة، ومستعدة لاستخدام جميع الوسائل والأدوات المتاحة في سبيل ذلك. كما أنّ القُوَى المنافسة لفرنسا في القارة – أيضا– لا تقلّ عن فرنسا جُرْمًا وخُبْثًا في استخدام الأدوات والوسائل نفسها، إنْ لم تتفوق عليها.

رُصِدَتْ بعضُ ممارسات حرب المعلومات المتمثّلة في نشر الإشاعات، والمعلومات المضلّلة، على وسائل التواصل الاجتماعي، من قِبَل شبكات تنتمي لفرنسا، وأخرى لروسيا، مستهدفة القارة الإفريقية، خاصة مالي، وجمهورية إفريقيا الوسطى، وليبيا. هذه المجموعات ركّزت بشكل أساس على جيل الشباب، والفئات المثقفة، وبدرجة أقلّ على متخذي القرار، اعتمدت على منصتين من منصات التواصل الاجتماعي: الفيسبوك والانستغرام.

ركّزت الشبكات الفرنسية، التي استهدفت دول إفريقيا جنوب الصحراء، بشكل كبير، على مالي، وجمهورية إفريقيا الوسطى، وتشاد، والنيجر. وعمِدت إلى تلميع صورة الجيش الفرنسي الموجود في هذه الدول، وخاصة عملية برخان، وما شابهها. كما أنها كانت تنشر معلومات عن ضعف الجيوش المحليّة، وعجزها عن التصدي لهجمات المتطرفين الإرهابيين، أو الانفصاليين، أو المتمرّدين؛ الأمر الذي يجعل مواطني تلك الدول يكرهون حكوماتهم، ويبرّرون وجود القوات الفرنسية؛ لكي تقوم بحمايتهم.

إن عملية برخا هي عملية عسكرية لمكافحة التطرّف والتمرّد في منطقة الساحل الإفريقي، بدأت في 1 أغسطس 2014م، وهي تتألف من 3000 إلى 4500 جندي فرنسي ومقرها في أنجامينا عاصمة تشاد، وقد شُكّلت العملية مع خمس دول تقع في منطقة الساحل الإفريقي، وهي: بوركينا فاسو، وتشاد، ومالي، وموريتانيا، والنيجر، هذه الدول كلّها من المستعمرات الفرنسية السابقة، وانهِيتْ عملية برخان في أكتوبر 2022م.

في شهر أغسطس 2020م، أعلنت فرنسا أنها أتمت انسحاب قواتها من مالي بعد 9 سنوات من العمليات العسكرية في هذا البلد، بذريعة مكافحة الإرهاب، وأعلن البيان الفرنسي أنّ آخر قوات فرنسية عبرت الحدود إلى النيجر منهيةً أعمالها العسكرية في هذا البلد التي بدأت عام 2014م، بناء على طلب حكومة مالي آنذاك، بعدما اجتاحت الحركات الإرهابية البلاد، علماً أنّ العملية العسكرية جاءت بالتعاون مع بوركينا فاسو، وتشاد، وموريتانيا، والنيجر.

نجد السيناريو المالي نفسه يتكرّر في بوركينا فاسو، انقلاب داخل انقلاب، وملامح تحول من الحضن الفرنسي إلى الحليف الروسي، بعد تصاعد الهجمات الإرهابية، فقدَ خلالها الجيش البوركيني السيطرة على 40 بالمئة من مساحة البلاد[1].

التأثيرات في الأمن الإقليمي

رأى الانقلابيُّون الجدد أنّ هذه الخطوات جاءت على خلفية رغبتهم القوية في التوجّه نحو شركاء آخرين، مستعدين لمساعدتهم في مكافحة الإرهاب، والشركاء الآخرون لا يمكن أن يكونوا سوى الروس، وذراعهم الأمنية (شركة فاغنر) المستعدين لتزويد جيوش الساحل الإفريقي بالأسلحة لمواجهة الجماعات المسلحة، مقابل تقويض النفوذ الفرنسي بالمنطقة.

الصراع الروسي الفرنسي بمنطقة الساحل مستعر، ومالي تمثل إحدى أبرز تجلياته، ومع فشل عملية برخان العسكرية، التي أطلقتها باريس في 2014م، وانسحابها من مالي، منتصف أغسطس الماضي، بدأ يتراجع النفوذ الفرنسي في المنطقة.

على عكس الانقلابيين في مالي، وغينيا، لم تفرض (إيكواس) أية عقوبات على المجلس العسكري في بوركينا فاسو، ما يعكس كرمًا حاتمياً من لدن، منظمة إقليمية تملك باريس نفوذًا قويًّا في العديد من أعضائها.

بعد الإطاحة بداميبا، سيتيح ذلك لروسيا التوغل أكثر في بوركينا فاسو، على غرار ما فعلت في مالي، من خلال إرسال مدربين وعناصر من (فاغنر) إليها، وتزويدها بأسلحة خفيفة وثقيلة، بما فيه

-(1) جان فينس، استخدام الاستخبارات العسكرية الفرنسية في قمع المقاومة الأفريقية، دار الراشدين للنشر، بغداد، 2014م، ص204.

الطيران الحربي (المستعمل)، مقابل الاستفادة بحقوق استغلال مناجمها المعدنية، خاصة أنها خامس أكبر منتج للذهب في إفريقيا، ناهيك عن الفوسفات والمنغنيز والزنك.

الخاتمة

1. كلما اشتد صراع الأقطاب الدولية على قيادة العالم، كانت إفريقيا إحدى ضحاياها ومسرحها، ومورد وقود حروبها الباردة والساخنة. وفي المنظور القريب، يبدو أنّ روسيا تتفوّق على منافسيها، ولكنّ العبرة بالجدوى والديمومة وسياسة النفس الطويل، ومصالح الشعوب الإفريقية، وهو ما سيحدّد الرابح من الخاسر في هذه القارة.
2. توجُّهُ فرنسا كان الحفاظ على العلاقات مع مستعمراتها السابقة، يعني الحفاظ على نفوذها على الأراضي التي تتيح لها الوصول إلى النفط، والمواد الخام، والأسواق الاستهلاكية غير المستغلة، أدركت فرنسا الفوائد التي قدّمتها العلاقات الواسعة مع إفريقيا لفرنسا، وتم تأسيس "الخلية الإفريقية" في قصر الإليزيه، وهي إدارة خاصة منفصلة عن وزارة الخارجية الفرنسية، وافقت المستعمرات السابقة على الاحتفاظ بالفرنك الإفريقي، وهو العملة التي تربط السياسات النقدية للدول الإفريقية بفرنسا.
3. علاقة فرنسا بإفريقيا هي علاقة تاريخية، ولذلك فإنّ إفريقيا ضرورية لفرنسا؛ لأنها تمنحها شعورها بالقوة، تتألق فرنسا على المستوى الدولي، من خلال قواتها المتمركزة مسبقًا في الكتلة الفرنكفونية، والتمثيل الإفريقي في الأمم المتحدة، هذا يعني أنّ إفريقيا في باريس هي جزء من مجال محجوز دائمًا في قصر الإليزيه، وهو وضع لم يتطوّر أبدًا.

قائمة المراجع:

1. أمين إسماعيل مجذوب، الأكاديمية العليا للدراسات الاستراتيجية والأمنية، أسباب عدم الاستقرار في أفريقيا، دراسة جماعية، 2019م.
2. أمين إسماعيل مجذوب، الأدوار الفرنسية في أفريقيا، ورقة مقدمة في مؤتمر أمن البحيرات، الخرطوم، مارس 2023م.
3. جان فينس، استخدام الاستخبارات العسكرية الفرنسية في قمع المقاومة الأفريقية، دار الراشدين للنشر، بغداد، 2014م.
4. د. أمين إسماعيل مجذوب، الأدوار الفرنسية التاريخية في أفريقيا، ورقة مقدمة في اكاديمية نميري العسكرية العليا، 2018م.
5. د. أسامة ريحان، التنافس الدولي في أفريقيا، المركز العربي للدراسات الإستراتجية، 2021م.
6. صلاح محمد سليم، الصراع الفرنسي الروسي في دول الساحل، مؤتمر أمن دول الجوار الأفريقي للسودان، 2019م.